

أضواء البيان

@ 83 @ عن أنس بن مالك : أنه حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الكافر إذا عمل حسنة أُلِّعَ بها طعمة من الدنيا . وأما المؤمن فإن الله يدرج له حسناته في الآخرة ، ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته) . . .

حدثنا محمد بن عبد الله الرزقي ، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديثهما . . .

واعلم أن هذا الذي ذكرنا أدلته من الكتاب والسنة من أن الكافر ينتفع بعمله الصالح في الدنيا : كبر الوالدين ، وصلة الرحم ، وإكرام الضيف والجار ، والتنفيس عن المكروب ونحو ذلك ، كله مقيد بمشيئة الله تعالى . كما نص على ذلك بقوله : { مَنَّ كَان يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ } . . .

فهذه الآية الكريمة مقيدة لما ورد من الآيات والأحاديث . وقد تقرر في الأصول أن المقيد يقضي على المطلق ، ولا سيما إذا اتحد الحكم والسبب كما هنا . وأشار له في (مراقي السعود) بقوله : فهذه الآية الكريمة مقيدة لما ورد من الآيات والأحاديث . وقد تقرر في الأصول أن المقيد يقضي على المطلق ، ولا سيما إذا اتحد الحكم والسبب كما هنا . وأشار له في (مراقي السعود) بقوله : (وحمل مطلق على ذلك وجب % إن فيهما اتحد حكم والسبب) % لا تَجْعَل مَعَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهًا ءَاخِرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا } .

الظاهر أن الخطاب في هذه الآية الكريمة متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ليشرع لأُمَّته على لسانه إخلاص التوحيد في العبادة له جل وعلا ، لأنه صلى الله عليه وسلم معلوم أنه لا يجعل مع الله إلهاً آخر ، وأنه لا يقعد مذموماً مخذولاً . . .

ومن الآيات الدالة دلالة واضحة على أنه صلى الله عليه وسلم يوجه إليه الخطاب ، والمراد بذلك التشريع لأُمَّته لا نفس خطابه هو صلى الله عليه وسلم . قوله تعالى : { إِمَّا يَبْدُلُ الْغَنَّةَ عِنْدَكَ الْكُبَيْرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } . لأن معنى قوله { إِمَّا يَبْدُلُ الْغَنَّةَ } : أي إن يبلغ عندك والداك أو أحدهما الكبر فلا تقل لهما آف . ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل ذلك بزمن طويل . فلا وجه لاشتراط بلوغهما أو أحدهما الكبر بعد أن ماتا منذ زمن طويل ، إلا أن المراد التشريع لغيره صلى الله عليه وسلم . ومن أساليب اللغة العربية خطابهم إنساناً والمراد بالخطاب غيره . ومن الأمثلة السائرة في ذلك قول الراجز ، وهو سهل بن مالك الفزاري : إياك أعني واسمعي يا جاره

